مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية

https://journal.ziu-university.net

30/11/2022

العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

# التقعيد في النحو العربي

# Taqlid in Arabic grammar

د. محمد الأمين محمد الولي

أستاذ الفكر الإسلامي بجامعة العلوم الإسلامية بالعيون/موريتانيا

dr. Mohamed Lemine Mohamed El Wely

Professor of Islamic Tought at the Islamic University of Al-Ayoun/Mauritania

Chinguitti2020@gmail.com

Orcid/0000-0002-3619-0905

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

**الملخص**

لقد بدأ اللحن يشيع على الألسنة منذ صدر الإسلام، خصوصا بعدما كثرت الفتوح؛ وهو ما جعل الحاجة تمس إلى وضع رسوم يعرف بها الصواب من الخطاء، خشية اللحن وشيوعه في تلاوة آي الذكر الحكيم، لذا وضع النحو.

وكانت المدرسة البصرية هي السباقة لوضع اللبنات الأولى لهذا العلم، ثم جاءت مدرسة الكوفة، وإن اختلفت عنها في النهج؛ حيث اعتمدت الأولى على القياس اللغوي، بينما ركزت الثانية على الاستقراء والتوسع في الرواية.

**الكلمات المفتاحية:** الإعراب، التصريف، الدرس النحوي، التعليل، الاستشهاد اللغوي، القياس النحوي، المدرسة البصرية، النحو الكوفي.

**Abstract**

Nostalgia began to circulate on the tongues since the advent of Islam, especially after the many conquests.

This is what made the need urgently to put drawings in which it is known right from wrong, for fear of melody and its prevalence in the recitation of the verses of the wise remembrance; So, setting as.

The school of Basra was the first to lay the first building blocks for this science, followed by the school of Kufa, although it differed from it in approach. Where the first relied on linguistic analogy, while the second relied on extrapolation and expanded on the novel.

**Keywords**: Analysis, conjugation, grammar lesson, reasoning, linguistic citation, grammatical analogy, the Basra school, Kufic grammar.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

**مقدمة**

إنَّ تأسيس أي علم يحتاج إلى عبقرية فذة وذهن ثاقب؛ خصوصا إذا كان علم النحو.

هذا العلم الذي استنبط من القرآن ومن كلام العرب، شعرا ونثرا، بالاستقراء، فصارت هذه النصوص هي الحجة في تقرير قواعد النحو في صورة ما عرف بالشواهد اللغوية؛ أي ما استشهد به العلماء من كلام العرب لتقرير القواعد النحوية.

**أهمية البحث:** ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، لأنها تلقي الضوء على الأسس التي بنى عليها النحاة العرب قواعدهم، والأسباب وراء نشأة هذا العلم الفريد.

**إشكالية البحث:** كيف نشأ علم النحو؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى ظهوره؟

**أهداف الدراسة:** يهدف هذا البحث إلى تتبع الخطوات الأولى التي سلكها نحاة المدرستين النحويتين في البصرة والكوفة، من أجل بناء صرح علم النحو على أسس صلبة، ودعائم قوية، لا تؤثر فيها عاديات الزمن.

**منهجية البحث:** جمعت في هذه الدراسة بين المنهج الوصفي المناسب لمثل هذه الدراسات التحليلية، كما استعنت بالمنهج التاريخي للوقوف على مراحل نشأة النحو وتقعيده.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

**تمهيد:**

يؤكد الباحثون اللغويون أنَّ العربية في العصر الجاهلي كانت سليقة وطبعا في ألسنة العرب، فكانت اللغة المتداولة، كما كانت لغة الخطابة والأمثال سواء بسواء.

ولكن هذا لا يعني أنَّ اللحن أو اللكنة لم تكن موجودة في العصر الجاهلي. نعم إنها كانت موجودة، ولكنها لم تكن موجودة عند العرب، وإنما عند الأعاجم الذين كانوا يسكنون مع العرب في جزيرتهم من فرس وأحباش وروم وغيرهم. واستمر الحال على هذا حتى ظهور الإسلام.

حيث نجد بوادر اللحن الأولى قد وجدت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما روى عنه في قوله عندما لحن أحد في حضرته «أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل»[1]. وروى كذلك أنَّ عمر رضي الله عنه كتب إليه أحد ولاته كتابا به بعض اللحن فكتب إليه عمر «أن قنع كتابك سوطا»[2].

غير أنَّ اللحن في صدر الإسلام كان لا يزال قليلا بل نادرا، ولكنه بدأ يشيع على الألسنة، ويتسع شيوعه أكثر كلما انحدرنا مع الزمن، وخصوصا بعدما كثرت الفتوح، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخل في الإسلام أعاجم كثيرون حملوا معهم عجمتهم أثناء محاولتهم الكلام بلغة العرب، فنشأ عن ذلك كثرة اللحن؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن العرب أنفسهم بدأت سلائقهم تضعف نتيجة لاختلاطهم بالعجم ولبعدهم عن ينابيع اللغة الفصيحة حتى عند بلغائهم وفصائحهم. فهذا الحجاج بن يوسف يسأل يحي بن يعمر: هل يلحن في بعض كلامه؟ ويصارحه يحي بأنه يلحن في قوله تعالى[3]:«قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم» {التوبة 24} إلى قوله: «أحب» بضم أحب، والوجه الصحيح أن تقرأ بالفتح خبرا لكان لا بالرفع[4].

[1] - شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، ط7, ص11.
[2] - الدجني فتحي عبد الفتاح، ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، وكالة المطبوعات، الكويت, 1974, ص48, وانظر أيضا: المدارس النحوية، م، س، ص12.
[3] - التوبة: 24.
[4] - المدارس النحوية، م، س، ص12.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وإذا كان الحجاج وهو من جهابذة اللغة في الفصاحة والبيان يلحن في حرف من القرآن، فكيف بنازلة العرب ممن لا يرقون إلى مرتبته في الفصاحة والبيان، فهم أحرى أن يلحنوا في حروف كثيرة من القرآن ومن غيره؟ وكيف بأبنائهم الذين لم ينشأوا في البادية مثلهم؟ ولا تغدوا من ينابيعها الفصيحة؟ وإنما نشأوا في الحاضرة واختلطوا بالأعاجم اختلاطا أدخل الضيم والوهن على ألسنتهم وفصاحتهم على نحو ما هو معروف عن الوليد بن عبد الملك وكثرة ما كان يجري على لسانه من لحن[5].

كل ذلك جعل الحاجة تمس في وضوح إلى وضع رسوم يعرف بها الصواب من الخطاء خشية اللحن وشيوعه في تلاوة آي الذكر الحكيم، لذا وضع النحو.

ويلخص الدكتور شوقي ضيف[6] العوامل التي أدت إلى نشوء النحو، فيرى أنه بالإضافة إلى العامل الديني، هناك ثلاثة عوامل أخرى متشابكة ساعدت على ظهور هذا العلم، ومنها: العامل الأول قومي عربي: يرجع إلى أن العرب يعتزون بلغتهم اعتزازا شديدا، وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم.

والعامل الثاني اجتماعي يرجع إلى أن الشعوب المستعربة أحست الحاجة الشديدة لمن يرجع إليها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثلها تمثلا مستقيما، ثم يضيف إلى ذلك رقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نموا أعده للنهوض برصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلا تطرد فيه القواعد وتنتظم الأقيسة انتظاما يهيئ لنشوء علم النحو على أسس الاستقراء الدقيق للتراكيب اللغوية مع معرفة خواصها وأوضاعها الإعرابية.

**أولاً–نشأة النحو: (المدرسة البصرية)**

تعد نشأة المدرسة البصرية في الحقيقة هي نشأة النحو نفسه[7], ذلك أن أكثر الرواة على أن أبا الأسود الدؤلي البصري هو واضع علم النحو.

[5] - المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[6] - المرجع نفسه، ص12-13.
[7] - الراجحي عبده، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان, 1980, ص9.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وتختلف الروايات في السبب المباشر الذي حدا بأبي الأسود إلى وضع مبادئ علم النحو، ومن هذه الروايات تلك التي تقول إنَّ ابنته قالت له «يا أبت ما أشد الحر» (برفع أشد) في يوم شديد الحر، فقال: إذا كانت الصقعاء من فوقك والرمضاء من تحتك؛ قالت إنما أردت أن الحر شديد، قال فقولي إذن: ما أشد الحر(بالنصب)[8], وهذا يعني أنها استخدمت أسلوب الاستفهام بدل أسلوب التعجب الذي كان هو هدفها.

وهناك رواية أخرى تقول إنَّ أبا الأسود الدؤلى أخذ النحو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين وضع له أبوابا وقال له انح هذا النحو[9]...

وفي رواية أخرى نجد أن أبا الأسود وضع النحو بأمر من زياد بن أبيه الذي دخل عليه رجل وقال له: «أصلح الله الأمير، توفى أبانا وترك بنون» فوضع أبو الأسود باب التعجب ثم باب الفاعل والمفعول وأخذ كلما سمع لحنة وضع لها القاعدة التي تصلحها[10].

غير أنَّ الشيء الذي لا جدال فيه هو أنَّ أبا الأسود وضع ضبط القرآن بالنقط، وأنه قال لكاتبه: «إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف، فانقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف»[11].

وكان هذا العمل الخطوة الأولى في عمل النحو، ومن الواضح أنَّ الحركات النحوية الاصطلاحية أخذت عن أبي الأسود كما يشير النص السابق.

ويرى بعض الباحثين أنَّ هذا العمل لم يكن يهدف إلى حفظ النص من اللحن فقط كما وقر في الأذهان، «وإنما كان يهدف إلى غاية أبعد في أصول الحياة الإسلامية. وذلك أنَّ المسلمين عرفوا بداية أن عليهم أن يقرأوا القرآن وأن يفهموه

[8] - ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، م. س، ص58.
[9] - دروس في المذاهب النحوية، م، س، ص9.
[10] -- الزيات أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، لبنان, 1985, ص205-206.
[11] - دروس في المذاهب النحوية، م، س، ص9.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لأنه هو الذي ينظم حياتهم، ومن ثم نستطيع تفسير نشأة الحركة العقلية العربية كلها بأنها كانت نتيجة نزول القرآن الكريم، تسعى إلى هدف واحد هو فهم النص القرآني الكريم»[12].

النحو إذن نشأ لفهم القرآن، وفرق كبير بين علم يسعى لفهم النص وعلم يسعى لحفظه من اللحن، ولو كانت الغاية منه حفظ النص من اللحن لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس النحوي، ومحاولة الفهم هذه هي التي حددت مسار المنهج، لأنها ربطت درس النحو بكل المحاولات الأخرى التي تسعى إلى فهم النص، ومن ثم فإن دراسة منهج النحو عند العرب لا تكون صحيحة إلا مع اتصالها بدراسة العلوم الأخرى وخاصة الفقه والكلام.

**أ-فترة الرقي**

يبدو أنَّ أول النحاة البصريين الذين تركوا آراء نحوية هم ابن أبي إسحاق المتوفى سنة 117هـ، ثم تلاميذه وفي مقدمتهم عيسى بن عمر الثقفي (ت149 هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت154 هـ) ويونس بن حبيب[13](ت 182 هـ).

وقد اشتهر ابن أبي إسحاق بتمسكه بالقواعد المسطرة وتخطئته لمن خرج عنها. ويعتبر عيسى بن عمر أهم تلاميذ ابن أبي إسحاق، وقد مضى على هديه في تعميم القياس وضبط القواعد[14]، ثم يأتي أبو عمرو بن العلاء المازني ببعض الأنظار النحوية رغم أنَّ صفة اللغوي والمقرئ كانت أقرب إليه من صفة النحوي. وثالث تلاميذ ابن أبي إسحاق يونس بن حبيب. وقد رحل إلى البادية وسمع عن العرب كثيرا مما جعله من رواة اللغة والغريب، وقد أخذ عنه سيبويه وأبو عبيد اللغوي.

وقد ازدهرت عند هؤلاء جميع المباحث النحوية «من زيادة في التنقيب والبحث واستخراج المسائل والتعليل والقياس واستنباط المسائل النحوية، وقد غدت أصولهم واضحة المعالم راسخة الأركان»[15].

[12] - المرجع نفسه، ص10.
[13] - المدارس النحوية، م، س، ص22.
[14] - المرجع نفسه، ص27.
[15] - ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، م. س، ص64.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ولا بد من التذكير أن أسلوب العلوم العربية كان يقوم على التحليل والبرهان، ويرجع إلى العقل جميع الظواهر، ويخضعها للأسباب والمسببات. وهذا واضح جدا في العلوم الرياضياتية والفلكية، وربما كان هذا راجعا إلى الدعوة القرآنية الملحة إلى تقديم البراهين، وإخضاع الظواهر لحكم العقل.

ولم تسلم ساحات الدراسة النحوية من هذا الأسلوب، بل مسها مسا شديدا، فنقل إليها جل ما كان يدور في دراسات الفقه وعلم الكلام حتى جارتهما في العلة والقياس والسبر والتقسيم، وما شابهها من ألوان الاستدلال الذهني[16].

ولا بد من أن نضع في حسابنا المصادفات التي تهيئ بعض الرجال الأذكياء في تاريخ العلوم، ولاسيما في مرحلة النشأة والتكون. فقد هيئ للنحو العربي رجلان عظيمان الخليل بن أحمد (ت175 ه) وسيبويه (ت180 ه) يرجع إليهما الفضل في ترسيخ أركان هذا العلم وذلك من خلال ذلك العمل الفذ الخالد كتاب سيبويه المشهور، والذي يعد أثرا ماديا يسجل آراء النحويين العرب خلال قرنين من الزمان[17].

ويصف الدكتور أحمد كمال زكى كتاب سيبويه هذا بقوله: «وإذا نحن تأملنا هذا الكتاب، وجملة الحكاية فيه عن الخليل وتلميذه يونس بن حبيب، نراه يصطنع نهجا عقليا قوامه القياس والتعليل، وفيه جدل انبثق عن روح الحجاج التي كان يتمتع بها كل من الخليل ويونس، ولكن فيه اعتمادا كاملا على الشعر العربي القديم في الاستقراء وتقرير الأصول، وتغافلا نسبيا عن آيات القرآن والشعر الإسلامي ولم يحفل إلا بحديث واحد»[18].

**ب-المصادر التي بنى عليها البصريون أصولهم النحوية:**

لقد بنى البصريون أصولهم النحوية على مصادر ثابتة ومحدودة، وتميزت بظاهرتين متباينتين، هما: الظاهرة اللغوية والظاهرة العقلية؛ أما اللغوية ففي تشددهم في عدم النقل إلا عن العرب الخلص المقطوع بعراقتهم في العروبة من سكان البوادي، وأما العقلية ففي الدراسة العقلية الرزينة والموضوعية التي تتميز بالشمول والاطراد[19].

---

[16] - الحلواني محمد خير، أصول النحو العربي، الناشر الأطلسي, 1983, ص89.
[17] - ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، م. س، ص66.
[18] - كي أحمد كمال، الحياة الأدبية في البصرة، دار الفكر، دمشق, 1961م/1381ه، ص166.
[19] - ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، م. س، ص89.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وهذه المصادر، هي:

1) **الفصحاء من العرب**، والنقل عنهم جاء من ناحيتين:

- الناحية الأولى: فصحاء البصرة، فقد كانت البصرة منذ نشأتها موطنا لكثير من القبائل العربية (قدرت بحوالى192 قبيلة)، إضافة إلى سوق المربد، الذي تأتيه فصحاء العرب من كل حدب وصوب.
- الناحية الثانية: فصحاء البادية، قام كثير من علماء البصرة برحلات علمية إلى البادية لأخذ اللغة من منبعها الصافي عند الأعراب، ونجد من بينهم – على الخصوص – أبا عمرو بن العلاء الذي جمع كتابا خاصا في الأمثال، مما يعني أنَّ حلقته لم تكن تخلو من الاحتجاج بها في اللغة والنحو، ثم تلميذه يونس بن حبيب الذي جمع كتابا آخر في الأمثال أيضا.

ومما يؤثر عن الخليل بن أحمد أنه استمد علمه في النحو من بوادي نجد والحجاز وتهامة[20].

وقد بدأت تلك الرحلات في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري.

2) **القرآن الكريم:**

لقد اعتبر البصريون القرآن أحد المصادر الأساسية التي بنوا عليها أصولهم النحوية، والدليل على ذلك أن سيبويه قد استشهد بآيات من جميع سور القرآن ما عدا سورتين هما سورتا الدخان والحجرات[21].

وأما الحديث فلم يعتبره البصريون مصدرا من مصادرهم الأساسية، وذلك لكثرة ما وقع فيه من الرواية بالمعنى، أو لأن السبيل إلى قراءته على أصحابه لم تكن ميسرة ماعدا أحاديث قليلة صحت عندهم[22].

هذا كله يدل على شيء مهم جدا في استقراء النحويين للغة، هو أنهم عنوا باللغة المحكية المسموعة، فالقرآن ذو أسانيد صحيحة، والشعر يسمع من أفواه الفصحاء أو الرواة الثقات، والأمثال يتداولها الناس كما رويت عن

[20] -أصول النحو العربي، ص27.
[21] - ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، م. س، ص98-99.
[22] -أصول النحو العربي، ص31.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أعراب البادية الموثوق بهم، والذين تؤخذ عنهم اللغة هم أبناء الخيام الذين لم يختلطوا بالأعاجم فظلت العربية على ألسنتهم صافية غير مشوبة، إلى القرن الرابع الهجري حيث فسدت الألسنة فلم يبق على ظهرها فصيح.

وهذه الخصلة في طبيعة الاستقراء تدل على سلامة الدراسة اللغوية التي قام بها هؤلاء النحاة. كما تدل على وجه كبير من وجوه الشبه بين مناهجهم ومناهج المعاصرين الذين يجدون في اللغة المحكية مصدرهم المهم، ويجعلون اللغة المدونة ثانوية أو مساعدة ليس غير[23].

وقد عرفت البصرة في تاريخ النحو بأنها المدرسة التي وضعت أصول القياس النحوي وأنها كانت تسعى إلى أن تكون القواعد مطره اطرادا واسعا، ومن ثم كانت تميل إلى طرح الروايات الشاذة دون أن تتخذها إطارا لوضع قانون نحوي، ولذلك كانت تتحرى صحة الاستقراء اللغوي[24].

**ثانياً–مدرسة الكوفة:**

يبدو أن معظم المؤرخين يربط نشأة النحو الكوفي بأبي جعفر الرؤاسي(803م) ومعاذ الهراء(187هـ)، ومع أننا نجد بعضهم لا يرى في الرؤاسي ومعاذ منشئين للنحو الكوفي، وإنما يعتبر أنهما أول من درس النحو بالكوفة فقط[25]. إلا أن الذي لا جدال فيه بين الدارسين أنَّ الكسائي هو الذي رسم للكوفيين الحدود التي عملوا عليها وخالفوا بها البصريين بعد ما أخذ عن الخليل بن أحمد النحو بالبصرة.

ويمكن تحديد الفترة الزمنية لبداية النشاط النحوي بالكوفة بأنها من الربع الأخير من القرن الثاني الهجري؛ أي أن ذلك «قد تم بعد عودة الكسائي من رحلته المشهورة إلى البادية، لأن الروايات تربط عودته من البادية بموت الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري»[26].

---

[23] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[24] - دروس في المذاهب النحوية، م، س، ص11.
[25] - ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، م. س، ص229-232.
[26] - المرجع نفسه، الصفحة 233-234.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ويذكر الباحثون أنَّ النحو الكوفي قد وصل إلى قمة مجده عند الفراء وهو من الطبقة الثالثة.

والسبب في هذا عائد إلى أن النحو كان قد وصل من البصرة إلى الكوفة ناضجا تاما «بخلاف البصرة التي بدأت تغرس البذور الأولى لنحوها الذي نما نموا بطيئا»[27], وبذلك «فقد أراح نحاة البصرة النحويين الكوفيين من جهد مائة وخمسين عاما من البناء المتواصل والتفكير الجاد في استنباط القواعد النحوية وتعليل المسائل بها، إذ نرى النحو الكوفي في نموه واتساعه لم يأخذ تاريخا طويلا، إذ تاريخه من حيث نشأته واتساعه لا يزيد عن عشرين عاما على وجه التقريب»[28].

**الأصول النحوية عند الكوفيين:**

إن الأصول التي بنى الكوفيون نحوهم تحت ظلالها ثلاثة وهي:

**1: النحو البصري:**

لقد أخذ نحاة الكوفة نحوهم في البداية عن النحاة البصريين ويدل على ذلك ما ذكره الرواة في هذا المعنى. «فهذا أبو جعفر الرؤاسي الذي قيل إنه أول من علم النحو في الكوفة قد أخذ عن عيسى بن عمر البصري»[29]. ونجد الكسائي المؤسس الحقيقي لنحو الكوفة يأخذ النحو عن الخليل بن أحمد. وهذا الفراء الذي يعتبر بحق موطد النحو الكوفي، راسما له طريقا واضح المعالم، يأخذ عن البصريين، وخصوصا عن يونس بن حبيب.

[27] - المرجع نفسه، الصفحة235.
[28] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[29]- المرجع السابق، ص236.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

**2: لغات العرب:**

لقد توسع الكوفيون كثيرا في الأخذ عن القبائل العربية، ولم يراعوا اختلاطها بغير العرب، وأخذوا عن عرب الحضر كما أخذوا عن عرب البدو بخلاف البصريين الذين تشددوا في الأخذ عن العرب واقتصروا على قبائل معينة يعتبرون لغاتها حجة، وما خرج عنها اعتبروه نادرا وشاذا[30].

وقد توسعت الكوفة بحكم موقعها الجغرافي، فهي منطقة داخلية، سلمت إلى حد كبير من الفساد، مما جعلها تطمئن للكلام العربي، بينما كانت البصرة أشد تحريا وأنفذ بصرا وأكثر حرصا، سيما في باب التعليل؛ لأنها أكثر عرضة للاختلاط والفساد بسبب موقعها الساحلي الذي نشط الحركية التجارية والمواصلات.

**3: القراءات:**

لقد كان الكسائي– وهو مؤسس النحو الكوفي –. أحد القراء السبعة المشهورين مما جعل الكوفيين يهتمون بالقراءات ويجعلونها أصلا من أصولهم، وقد وجه الكسائي النحو حسب ما تقتضيه القراءة، ولذلك انفرد في كثير من الآراء[31].

والقراءات – كما هو معروف – علم يعتمد على الرواية، ويعتمد على التلقي والعرض، فلا يسمح لأحد أن يقرأ القرآن أو يقرئه إلا بعد أن يتلقاه عن شيخ ثم يعرضه عليه حتى يجيزه، لأن القراءة علم بأداء القرآن أداء معينا، وهو لا يقوم على منطق أو اجتهاد أو تأويل، ولكنه يتوقف أولا وآخرا على الرواية، أصح طرق النقل اللغوي. والقراءات هي التي طبعت المدرسة الكوفية بطابعها في كثير من نواحي النشاط العقلي، وبخاصة في النحو.

من هنا نستطيع أن نفهم ما يقرره مؤرخو النحو من أن المدرسة الكوفية قد توسعت في الرواية، وبأنها كانت تعتمد المثال الواحد لتجعله ظاهرة عامة بحيث تستخرج منه القاعدة التي تراها صالحة للاستعمال، في حين كانت البصرة تتشدد في التوصل إلى القاعدة من الأمثلة الكثيرة وكانت تعتبر الأمثلة المفردة شواذ من القاعدة.

---

[30] - المرجع نفسه، ص238-239.

[31] - المرجع نفسه، ص240.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

على أنَّ الخلاف بين المدرستين لم يقتصر على هذه القضية المهمة وحدها وإنما تعداها إلى تفسير الظواهر اللغوية. وإذا كان المنهج البصري قد بسط نفوذه على النحو العربي منذ نشأته حتى عصرنا الحاضر، فإن الذي لا شك فيه عند بعض الباحثين أنَّ «النحو الكوفي لم يلق حتى الآن ما يستحقه من عناية الدارسين، رغم أن كثيرا مما ذهب إليه الكوفيون أقرب إلى واقع اللغة مما ذهب إليه البصريون، فقد كانت السمة الغالبة على النحويين الكوفيين أنهم درسوا المادة اللغوية على أساس(وصفي) أي بطريقة تقريرية تبتعد عن التعليل الفلسفي»[32].

ولنضرب مثالا على ابتعاد الكوفيين عن التأويل العقلي، واقترابهم من المنهج الوصفي السليم. وذلك في قضية وقوع الجملة فاعلا فقد كان البصريون قد قرروا أن الفاعل لا يكون جملة، ولكنهم يصطدمون بنصوص عربية لا يرقى إليها الشك تؤكد وقوع الجملة فاعلا فيضطرون إلى تأويل النص والإسراف فيه، وذلك نحو قوله تعالى: {ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأَيٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ٣٥} [يوسف:35]. أين فاعل الفعل(بدا)؟

اضطر البصريون أن يدوروا حول النص فقالوا إن الفاعل هنا ضمير مستتر تقديره (هو). فعلى أي شيء يعود هذا الضمير؟ قالوا إنه يعود على الضمير المفهوم من الفعل، والتقدير: ثم بدا لهم بداء هو...ثم قالوا إن جملة {لَيَسْجُنُنَّهُۥ} جملة تفسيرية تفسر هذا الضمير المستتر العائد على البداء.

ويعلق الدكتور عبده الراجحي على هذا بقوله: «من الواضح أنَّ هذا الضمير لم يظهر قط وأنَّ هذا البداء خيال. أما الكوفيون فقد قالوا وفقا لمذهبهم جملة{لَيَسْجُنُنَّهُۥ} هي الفاعل. وليس من شك في أنَّ هذا هو الصحيح، ووقوع الجملة فاعلا ليس أمرا غريبا في اللغات»[33].

ومهما يكن من أمر فإنَّ دراسة النحو على ما اشتهر عن البصريين وحدهم فيها شيء غير قليل من مجافاة المنهج العلمي، بل لعل تتبع ما قدمه الكوفيون أن يعين على دحض كثير من الشبه التي يثيرها بعض الدارسين حول النحو العربي[34].

---

[32] - دروس في المذاهب النحوية، م. س، ص90.
[33] - المرجع نفسه، ص91.
[34] - المرجع نفسه، ص92.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

**ثالثاً-القياس في النحو:**

من أهم الأسس التي بنى عليها صرح النحو العربي القياس اللغوي، والذي يعرفه بعضهم بأنه «الأساس الذي بني عليه كل ما نستنبطه من قواعد اللغة، أو صيغ في كلماتها أو دلالات في بعض ألفاظها، فالقياس بمثابة المكيال أو الميزان الذي يبين لنا الصحيح من الزائف وما يقبل وما يرفض»[35].

ولقد اتفق النحاة على وجود القياس في النحو، ومن العبارات المشهورة «اعلم أنَّ إنكار القياس في النحو لا يتحقق لأنَّ النحو كله قياس»، و«النحو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب».

ولكن القياس الذي لا يتحقق إنكاره في النحو وأنه هو النحو، قد اضطربت نظرتهم إليه اضطرابا شديدا، فيثبته بعضهم أحيانا وينفيه آخرون، ويرى بعضهم الشاهد الواحد قياسا، ويرى الآخر أنه ليس كذلك، وربما وجه الشاهد الواحد توجيهات مختلفة، وكل منها في نظر الموجه مقيس، وقد تتعارض وتختلف فيلجأ حينئذ إلى الترجيح والتأويل.

ويحدد النحاة فترة الاستشهاد اللغوي الصحيح حوالي منتصف القرن الثاني الهجري بالنسبة للحضر، وأواخر القرن الرابع الهجري بالنسبة للبادية. وجعلوا الاستشهاد الصحيح من الوجهة النظرية محصورا في القرآن والحديث وشعر العرب ونثرهم، ولم يعتبروا القبائل كلها في درجة واحدة من حيث قيمة الاستشهاد بأقوالهم والقياس على نطقهم. فالذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ وعليهم اتكل في الغريب وفى الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. وإذا كان التفاوت في الفصاحة هو السبب في تفضيل هذه القبائل، فإن جميع هذه القبائل العربية وفروعها اعتبرت حجة يؤخذ عنها ويقاس على قولها[36].

ولكن ما هو شأن القياس إذا اختلفت تلك اللغات؟

---

[35] - أنيس إبراهيم، من أسرار اللغة، ط3, مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة, 1966, ص8.

[36] - عيد محمد، أصول النحو العربي، عالم الكتب، القاهرة, 1989, ص78.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لقد اعتبرت جميع هذه اللغات مما يصح عليه القياس رغم التفاوت بينها. وإذا تدخل عالم النحو لكي يضع القياس فإن له أن يتخير إحدى اللغتين ويقويها وينتصر لها، هذا إذا كانت اللغتان متساويتين في الكثرة والجودة أو متقاربتين، وأما إذا كثرت إحداهما وقلت الأخرى، فإنه يؤخذ بأوسعهما رواية وأقواهما انتشارا.

**أصول القياس:**

لعل أولى هذه الأصول النظرة(الكمية)، فهم يشترطون أن يكون المقيس عليه كثيرا شائعا في أعراف اللغة، ولذلك أنكروا أن يقاس على القليل، وتتضح هذه النظرة الأصولية في كثير من مواقف نحاة البصرة خاصة. وفى مناظرة سيبويه للكسائي مثال سافر عليها، فقد رفض أن يأتي المعرف منصوبا بعد إذا الفجائية لأن ذلك مخالف للكثير الشائع في لغة العرب، ولم يعتد بالقليل الذي سمعه من الأعراب الذين حكموا بينه وبين الكسائي[37].

وقد كان قدامى النحاة يبنون قواعدهم على الكثير، ويجعلون ما خالفه لغة لا يقاس عليها. قال سيبويه: «فلا ينبغي لك أن تقيس على الشاذ المنكر في القياس»[38]. وهذا القول هو الذي اتبعه النحاة المتأخرون أمثال المبرد وابن السراج والفارسي وابن جني.

على أنهم قد يضطرون إلى القياس على القليل، لأنهم لم يقعوا على غيره، من ذلك أن سيبويه قاس على قولهم في النسبة إلى شنوءة شنئى فقال «فإن أضفت إلى عدوة قلت عدوى، من أجل الهاء كما قلت في شنوءة شنئى»[39]. وقد علل أبو الحسن الأخفش هذا الموقف بأن شنوءة وشنئى هو جميع ما سمع العرب، ولهذا يجوز القياس عليه[40].

37 - أصول النحو العربي، م، س، ص94-95.
38 - المرجع نفسه، ص94-95.
39 - المرجع نفسه، ص95-96.
40 - المرجع نفسه، ص94-95.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وإلى جانب هذه النظرة(الكمية) توجد نظرة أصولية أخرى تقوم على (الكيفية) تبحث في طبيعة المقيس عليه من حيث الفصاحة والقدم، ومن حيث وقوعه في الشعر والنثر. فلا يقاس إلا على الأثر الفصيح الذي استوفى شروط القدم، أما لغة الشعر فيقاس عليها إذا كان النثر يعضدها، وكانت الظاهرة فيها مما لا يخالف العرف اللغوي العام[41].

**خاتمة**

إنَّ أهم النتائج والخلاصات التي يمكن لنا أن نستخرجها من هذا البحث، تتلخص فيما يلي:

1- أنَّ النحو كان وليد جهود مضنية بذلها المؤسسون الأوائل من علماء اللغة، تتبعوا فيها اللغة من فصحاء المدن والبوادي سواء بسواء.

2- أنَّ نشأة النحو في البصرة لم تكن وليد صدفة، فقد كانت موطنا لكثير من القبائل العربية، إضافة إلى الرحلات العلمية التي قام بها علماء البصرة إلى البادية لأخذ اللغة من منبعها الصافي عند الأعراب.

3- أنَّ مدرسة البصرة هي التي وضعت أصول القياس النحوي، وكانت تميل إلى طرح الروايات الشاذة.

4- أنَّ الكوفيين توسعوا كثيرا في الأخذ عن القبائل العربية.

5- أنَّ المدرسة الكوفية توسعت في الرواية، متأثرة بمنهج القراءات، باعتبار مؤسسها الكسائي أحد القراء السبعة المشهورين.

6- أنَّ فترة استشهاد اللغوي الصحيح حوالي منتصف القرن الثاني الهجري، بالنسبة للحضر، وأواخر القرن الرابع، بالنسبة للبادية.

[41] - المرجع السابق، ص95-96.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 334-350 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

## قائمة المصادر والمراجع


- أنيس إبراهيم، من أسرار اللغة، ط3, مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة, 1966.
- الحلواني محمد خير، أصول النحو العربي، الناشر الأطلسي, 1983.
- الدجني فتحي عبد الفتاح، ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، وكالة المطبوعات، الكويت, 1974.
- الراجحي عبده، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان, 1980.
- زكي أحمد كمال، الحياة الأدبية في البصرة، دار الفكر، دمشق, 1961م/1381هـ.
- الزيات أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، لبنان, 1985.
- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، ط7.
- عيد محمد، أصول النحو العربي، عالم الكتب، القاهرة, 1989.

- Ānis Ibrahim, Mine Āsrari Āl – llouġāti, (in arabic), 3st ed, Mektebettou Āl-Ānglou-Āl-Miṣriyyah, Āl-Quahirah, 1966.
- Āl Ḥoulwany Mohamed Ḫayr, Ouṣoul Ānnaḥwi Āl-Āraby, (in arabic), Ānnaširou Āl-Āṭlessiyou, 1983.
- Āddoujny Feṯhy Ābdoul Fattaḥ, Ẓāhiratou Āššouḍouḍ Fi Ānnaḥwi Āl-Āraby, (in arabic), Wikaletou Āl-Maṭbouʿatt, Āl-Koweitt, 1974.
- Ārrajiḥy Ābdou, Douroussoune Fi Āl-Meḍāhibi Ānnaḥwiyyety, (in arabic), Darou Ānnahḍatti Āl-ʿarabiyyetti, Beirout, Loubnane, 1980.
- Zeky Āḥmed Kemal, Āl-Ḥayattou Āl-Ādebiyettou Fi Āl-Basrati, (in arabic), Darou Āl-Fikr Dimeṣq, 1961AD/1381AH.
- Āzzayyatt Āḥmed Ḥassene, Tariḫou Āl-Ādebi Āl-Āraby, (in arabic), Darou Āl-Maʿrifeti, Loubnane, 1985.
- Šewqui ḍayf Āl-Medarissou Ānnaḥwiyyettou, (in arabic) , Darou Āl-Maʿrif, 7st, ed.,
- ʿid Mohamed, Ouṣoul Ānnaḥwi Āl-Āraby, (in arabic), ʿālemou Āl-Koutoub, Āl-quahirah, 1989.